

مناقب
السيد محمد عثمان تاج السر
بن السيد جعفر الميرغني



جمعها

الخليفة عباس الخليفة علي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِهِ الإِعَانَةُ بَدْءًا وَخَتْمًا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتًا وَوَصْفًا وَاسْمًا

أما بعد، فهذه مناقب السيد الحسيب النسيب السيد محمد عثمان بن السيد جعفر، جمعت من صدور الأماثل أهل التقى والفضائل.

المقدمة

في لمعة من فضائل أهل البيت

الحمد لله الذي أبرز إلى الوجود بفضله الذات المحمدية ۞ من العدم وجعلها أول التَّعينات في عالم الإمكان ۞ نحمده سبحانه على ما تفضَّل به من المواهب اللدنية ۞ وأجرى سحائب الجود على عوالم الشهود والغيب المُصان ۞ له في ملكه سبحانه ما يشاء ويختار بل الكل تحت قبضته القهرية ۞ يولي ويعزل ويخفض ويرفع ويعز ويذل، هو العزيز القاهر السُّلطان ۞

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى السنية ۞ لا يبلغ الحامدون شكره وأنى يحمد أو يشكر، من حمده وشكره هما من عطايا الامتنان ۞ وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أصل الشجرة النُّورانية ۞ ولمعة النُّور التي خلقت من أجلها الأكوان ۞

أما بعد، فهذه نبذةٌ وجيزة وكلمات عزيزة نورانية ۞ في مآثر فقيد الأمة السيد محمد عثمان بن السيد جعفر الذي روعت بمصابه البلاد الإسلامية ۞ واشتدت بفقده على قطرنا الأحزان ۞ إذ هو سليل الدوحة الهاشمية المصطفوية ۞ المُشار لهم في الذكر بالتطهير عن الرجس في القرآن ۞ ونحن فقد أحببنا أن نقدّم بين يدي هذه المناقب والمفاخر العلية ۞ بعض من فضائل أهل البيت نمتع به القلوب ونشنف به الآذان ۞ لا دعوة لحمية بل نستنزل الرحمة الإلهية ۞ وندخل في زمرة قوم تعرضوا لنفحات الله، فأفاض عليهم مواهب اللُّطف والحنان ۞

وما جاء في أهل البيت لا تحصره الأقلام في الكتيبة ۞ فقد جاء ذكرهم بالفضل والثناء الجميل في الفرقان ۞ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فيا لها من مزية ۞ لم ينلها سواهم إنس ولا جان ۞ فانظر فقد طهَّرهم الله بإرادته الأزلية ۞ وحكم لله نافذ لا يقوم له الكيان ۞ وفي الآية الأخرى تظهر لك أهمية عواطف المحبوبية ۞ وود النَّبي في قرابته الذين حبهم بمثابة الجزاء على القرآن ۞ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، أي إنما أسالكم أن تودوا قرابتي لموضعي منهم، ولا أريد منكم سوى ذلك إن شكرتموني

جزاءًا ولا شكرية ۞ إني أنا النبي الذي أرسله الله رحمة لكم وشفيعًا، فويل لمن كان خصيمه النَّبي المُزان ۞فما أعظم هذه العترة التي تنتهي إلى الذات المُحمدية ۞ ويتفرع نورها من نوره، فأكرم بمن صلح بهم الزمان وطاب المكان ۞ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤمِّنًا لهاتيك المزية ۞ (تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ) الأول القرآن ۞ والثاني عترتي الذين هم أهل الطهرية ۞ فذكر كتاب الله وأثنى عليه ورغَّب فيه ثم ألقى الوصية أن لا أحد منهم يُهان ۞ وفي الحق أن ما ورد في فضلهم عن خير البرية ۞ لا تستطيع الطُّروس أن تحصره ولا تحصيه يراع ولا بنان ۞

فمن ذلك على ما أوردنا من حديث مسلم في الصحيحية ۞ ما ثبت عن الترمذي في جامعه، قال مُنبِّهًا على ملازمة أهل البيت للقرآن ۞ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ. وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)، بالبر أم بالنكرانية ۞ فمن ودهم ودَّني ومن لا فشأنه هو الشان ۞ فعليك بالتمسك بأهل البيت إن أردت السلامة والأمنية ۞ فإنهم سفن النجاة كما جاء عن ابن عباس في التبيان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهَا فَازَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ

عَنْهَا غَرِقَ). فقم على قدم السداد وتشبَّث بحبالها القوية ۞ لتحوز غاية السَّلامة ويهنأك ما متعت به من أمان ۞ وذكر صاحب "ذخائر العقبى"، عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَرْبَعَةٌ أَنَا لَهُمْ شَفِيعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُكْرِمُ لِذُرِّيَّتِي، وَالْقَاضِي لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ، وَالسَّاعِي لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ عِنْدَ اضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ). فيا من تحقق بهذا قد نلت الأُمنية ۞ وفزت بخيرها وميرها، وذلك من أعظم النُّفعان ۞

وكما حثنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حبهم، حذرنا من بغضهم وأن نسبق لهم بالعدوانية ۞ ووصف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبغضهم بالنفاق والخذلان ۞ فروى ابن سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَبْغَضَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُنَافِقٌ)، حكم بذلكم أعظم البرية ۞ ولا ينطق عن الهوى من زكَّى اللَّه سمعه وبصره وقلبه واللسان ۞ وأخرج ابن حبان والحاكم وصحَّحه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ رَجُلٌ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ)، نعوذ بالله من الشُّرور النفسية ۞ ومن الأدواء القلبية التي تهلك الإنسان ۞ ونسأله سبحانه أن يدرجنا في سلك أهل المحبة

والخصوصية ❁ لآل بيت نبيه وأن يحشرنا معهم في أعلى فراديس الجنان ❁

رِضَاءُ رَبِّي عَنِ الأُسْتَاذِ سَيِّدِنَا
عُثْمَان ذِي الْفَيْضِ وَالْإِمْدَادِ هَتَّان

الفصل الاول
في نسبه الشريف المعظم

أما نسبه الشريف المعظم فهو سلسلة ذهبية ❁ قد انتظمت منه إلى سيد الوجود بكل عبقري حسان ❁ فهو الحسيب النسيب التقي النقي ذو الأعراف الزكية ❁ حاوي المجد من أطراف الحال على ذرى أشرافه السيد محمد عثمان ❁ ابن السيد جعفر ابن السيد بكري ابن سلطان العاشقين ودليل الحائرين السيد جعفر الصادق ابن سيد العارفين الذي تمنيت الأولياء مكانه السيد محمد عثمان الميرغني صاحب الطريقة الختمية ❁ ابن السيد محمد أبي بكر ابن السيد عبد الله الميرغني المحجوب الذي نطقت الأشجار والأحجار بقولها "سلامًا سلامًا"، عند تلاوته للقرآن ❁ وهو ابن السيد إبراهيم ابن السيد حسن ابن السيد محمد أمين المدفون بالمعلا بمكة المشرفة البهية ❁ ابن السيد علي ميرغني الذي منهم لقبهم بالأمارة والغنى ما كرَّ الجديدان ❁ ابن السيد حسن ابن السيد ميرخورد ابن السيد حيدر

ابن السيد حسن ابن السيد عبد الله ابن السيد علي ابن السيد حسن ابن السيد أحمد ابن السيد علي ابن السيد إبراهيم بن السيد يحيى ابن السيد عيسى ابن السيد أبي بكر ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد إسماعيل ابن السيد ميرخورد البخاري ابن السيد عمر ابن السيد علي ابن السيد عثمان ابن السيد علي التقي ابن الإمام حسن الخالص ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام السيف الغالب سيدنا علي بن أبي طالب التي تخشى سطوته الأبطال الكمية ۞ باب مدينة العلم المشهود له بالجنة والرضوان ۞ كما أنه ابن السيدة فاطمة الزهراء البتول المرضية ۞ سيدة نساء العالمين قيل حتى على مريم بنت عمران ۞ بضعة رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأم أبنائه وأول امرأة تولت القطبانية ۞ كما نصَّ على ذلك أرباب أهل الشان ۞

لله من نسب تسلسل نوره ... من دوحة العز الشميخ الأفخر

قامت تطاوله الكيان بفخرها ... فسما عليها بالنبي الأزهر

أكرم به نسبًا تنامى مجده ... وعلا على كل الفروع بجوهر



الفصل الثاني
في ميلاده ونشاته

اعلم أيها الأخ المُبارك أنه لما أراد اللَّه إبراز هذه الدرة اليتيمة والجوهرة الكريمة إلى عالم الشهود رحمة للبرية ❁ حملت به أمه فلم ترى تعبًا ولا وصبًا لحمله كما رأت سائر النسوان ❁ ووضعته رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بأرتريا بكرن، سنة الف وثلاث مائة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية ❁ وبأرتريا نشأ مع إخوانه في حضانة والده السيد جعفر المحسان ❁ وقرأ القرآن على يد الرجل الصالح الخليفة بلال في خلوة والده، وحفظ القرآن ولم يتجاوز العاشرة بنجابة هاشمية ❁ ثم أدخله والده خلوة كرن، وتركها بعد سنتين مُلازمًا والده فتوالت عليه مواهب المنَّان ❁ وقد أرسلت جدته الشريفة السيدة مريم الميرغنية ❁ تستأذن والده وعمه السيد عليًّا الميرغني ليكون معها بالدائرة المخصصة للضيفان ❁ وبسنكات زوَّجته الشريفة مريم امرأة صالحة وهي أول زوجاته ومكث بسنكات مدة زمانية ❁ ثم رجع إلى والده بأرتريا، ومكث معه يسيرًا، استأذنه بعدها العودة إلى سنكات، فأرسل له العنان ❁ وتزوج من أرتريا بسيدة كريمة، ولم يزل ينتقل من أرتريا

إلى سنكات وكسلا وسواكن وبورتسودان والخرطوم في خدمة هذه الطريقة المنورة السنية ۞ وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثير التزوج لرغبة نبوية صدرت من سيد الأكوان ۞ حيث قال: (تَنَاكَحُوا، تَنَاسَلُوا، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وأعقب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تسعة نسوة كواكبًا وبدورًا نورانية ۞ هم إلى اليوم بهجة ومفخرة السودان ۞ فمنهم السيد هاشم ابنه الأكبر-، والسيد محمد سر الختم ذو الأحوال الهنية -عليهما الرحمة والغفران- ۞ والسيد الحسن الذي تخلَّق وراثة من جده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخلاق القرآن ۞ وكذلك السيد جعفر وريث جده النائل لأعظم المزية ۞ وكذلك السيد المحجوب والسيد بكري والسيد جعفر والسيد محمد عثمان القائمين على نهجه ونهج أسلافه بالخير والهديان ۞ وخلَّف صاحب هذه المناقب المحبرة من الشرائف المطهَّرات خمس ورثن حسن أخلاقه والرأفة القلبية ۞ فكُنَّ بذلك رحمة للنَّاس وبهجة للعصر والأوان ۞

رِضَاءُ رَبِّي عَنِ الأُسْتَاذِ سَيِّدِنَا
عُثْمَان ذِي الْفَيْضِ وَالإِمْدَادِ هَتَّان

الباب الثالث
في أوصافه الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة

وأما وصفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حيث جهته الخَلْقيَّة ۞ فكان ربعة بين الرجال، فلا طول به يسري ولا قصر به يزري، بل هو وسط جامع لقوة الجثمان ۞ متناسق الأعضاء، معتدل القامة، رقيق البشرة، تكسوه أنوار المهابة الجلالية ۞ شديد سواد الشعر، وجهه كدارة القمر، بل هو أضوأ من القمر ليلة البدران ۞ غزير شعر الحاجبين، عريض الوجه، واسع العينين، أنفه معتدل في إستقامة مهندية ۞ باسم الثغر، طلق المحيا، متبشّشًا بحلاوة الأسنان ۞ كأنها الدر من شدة بياضها صفاء وبهاء، تزيدها الأذكار نقاوة محمدية ۞ ورثها صاحبها من الحبيب المكمل الذي جمّله الرحمن ۞ وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبيض اللون، مشربًا بحمرة، يمشي هادئًا، قصير الخطا، نظيفًا، ظريفًا على الاستمرارية ۞ لا يلبس إلا البياض ،دليلاً على طيب نفسه وحسن سريرته في الجَنان ۞

وأما أخلاقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد تحلَّى بالأخلاق القدسية ۞ ولا غرابة إذ هي وراثة من جده صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم خاتم النبيان ۞ فكان رحمه اللَّه طيب الأخلاق، زكي الأعراق، يملك نفسًا رحيبة عرشية ۞ قد أكتتم فيها من الأنوار والأسرار ما جعلها ظلاً ظليلاً يتفيؤه كل إنسان ۞ وفي حالة بأسه وجأشه تبدو عليه أنفاسًا جلالية ۞ يخشى

سطوتها الناس حين يبدو للحق غيران ❁ ولم يكن فظًّا غليظًا ولا قبعثريًا جافيًا، بل كان رحيمًا كريمًا يتألف المساكين للرأفة الفطرية ❁ جوادًا سخيًّا ينبسط للخلق بما هو معروف من العواطف والعوارف والإحسان ❁ لا يعبأ بزخرف الدنيا، تأتيه طائعة راغمة رغدة هنية ❁ كثير الصفح مع المقدرة، كاظمًا للغيظ، يقبل المعذرة، وصَّالاً للرحم، سائرًا بالهدي والهديان ❁ لم يذم أحدًا من الملازمين له قط، ولا خاشنه إلا بما يقيم إعوجاجه ويزيل عنه الخسة النفسية ❁ عظيم الإستقامة، كثير الحياء، دائم الفكر، متواصل الأحزان ❁ فما أكرمه من سيد نال شرف هاتيك المزية ❁وخطبته المعالي لاقتطاف زهرة تلك المجالي علما وفردًا في الزمان ❁



الفصل الرابع
في كراماته وباهر آياته وهباته

اعلموا أيها الإخوان وفقكم الله أن الكرامات إنما هي تفضل من الله لعباده عندما أقاموا رسم العبودية ❁ وتوجهوا إلى الحق بصدق العزم وكنه الهمم مقبلين بالطاعة طارحين للعصيان ❁ فأصحاب الكرامات هم أهل الهمم الغالية والنُّفوس المرضية ❁ ولا سبيل في

الكرامة للمباهاة التي هي حديث النفس ووسوسة الشيطان ۞ ولقد جرت عادة الأولياء أن يستروها ولا ينشرونها سجية إخلاصية ۞ فينشرها الله ويبقى ذكرها كما شوهدت بالبصر والجنان ۞ وقد قال أحد أفراد هذه الطائفة لما قال له محدثه: إن الماء الذي يتقاطر من أعضاء وضوئك ينزل سلاسل ذهبية ۞ أن يا بني هذا الخشخاش الذي يتلاعب به الصبيان ۞ وقد جاءت الإشارة إلى الكرامات في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ۞ كقصة آصف بن برخيا في نقل عرش بلقيس إلى سيدنا سليمان ۞ وكقصة السيدة مريم الصِّدِّيقة في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. ألوانه زكية ۞ مع إنه لم يكن في وقته بلا خلاف ولا غويان ۞ وكقصة الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هداية وإيمانية ۞ وعمَّر قلوبهم بمحبته فأعتزلوا فيها الأهل والولدان ۞ غير ذلك مما ورد في السنة البهية ۞ لكننا اختصرنا المقام خوفًا من التطويل الذي تمله الأذهان ۞

أما عن سيدنا صاحب هذه الذكرى فحدِّث عن كراماته ولا حرج، فإنها طبيعة وسجية ۞ بلا رغبة فيها ولا طلب لها إذ هي من جود وكرم الديَّان ۞ فنذكر منها ما يقبله الوقت ولا تأباه النُّفوس الزكية ۞ على شرط السَّند المُتصل إلى الثقات الموصوفين بالعدالة والضبط لا

عن هيان بن بيان ۞ فمنهم الخليفة محجوب أفندي من أهل نوري من بلاد الشايقية ۞ قال: كنت مع السيد في البركل بسرايا السيد علي الميرغني، وقد أصابها تصدع وخلل أيام الفيضان ۞ وكان السيد في غرفة وأنا في غرفة أخرى، فحدثتني نفسي بأن هذا السرايا متصدعة فخشيت إن نمت أن يسقط علينا كسفًا حجرية ۞ ففي الحال ناداني السيد من حجرته، وقد كاشفني بما جرى على خاطري، فقال لي: اذهب فنم فإنك في أمان ۞ ومنها ما ذكره الخليفة عثمان بن الخليفة بشير، وقد كان ملازمًا للسيد بأرتريا: أنه جاء السيد إلى منطقة قفاتي وأشكيت، وكان بين هاتين القريتين وادي وهو مورد مائهم، وقد جفَّ تمامًا وعمَّهم العطش بالكلية ۞ فشكوا إلى السيد حالهم فرفع يديه، وسأل الله لهم السقيا والغيث المغيث بالرشفان ۞ فما إن أتم دعاءه وأسدل يديه حتى نبع الماء غزيرًا ولا زال آية إلهية ۞ وهي من الكرامات المشهودة المعروفة بتلك النواحي إلى الآن ۞ ومنها ما ذكره آدم عثمان النور، وهو قائم على خدمة السيد خدمة مرضية ۞ أنه في يوم السبت الثامن من أبريل عام ١٩٩٥م كان يدلك رجل السيد، وفجأة بدأ السيد كالنائم، ولاحظ آدم أن الرجل الأخرى غير موجودة، فأصيب بالدهشة والرجفان ۞ وبعد قليل من الوقت التفت إليه السيد، ورأى عليه علائم الدهشة والاستعجاب والرهبية ۞ فقال له: هذا من

فضل الله علينا يا آدم عُد في اطمئنان ۞ كان هناك رعاة على النيل غرقت منهم بعض المواشي النعمية ۞ وكاد أن يصيبهم البحر أن بسببها فنادى أحدهم السيد تاج السر، فسعيت إليهم وأنقذت الجميع بالمنة الإلهية ۞ وأمرني السيد ما دام هو حيًا بالكتمان ۞ ومنه ما ذكره الخليفة خليل قال: كنا في مرور مع السيد لقبيلة البارية ۞ بمنطقة مقلو فشكوا إليه العطش وجفاف الزرع والضرع وذهاب الأمان ۞ وكان لهم خور يردون ماءه، وقد جفَّ تمامًا وكادت تتعطل معيشتهم الضرورية ۞ فأمر خليفتهم أن يحضر سبع حصيات جعل يقلبها السيد ويتلو عليها من الفرقان ۞ ثم أمر الخليفة بدفنها في وسط الخور فما تم دفنها حتى نبع الماء بلا مهلية ۞ واستمر الخور في نشاطه ولج بالجريان ۞ وقال أيضًا الخليفة خليل: كنا في طريقنا من أقوردات إلى أسمرا، وكان السيد يقود السيارة بأقصى سرعتها القوية ۞ ففجأة ظهر رجل بالطريق، ولم يستطع السيد تجاوزه، فصدمه بالعربة صدمة هوت بالرجل لظهر العربة بلا توان ۞ فقال السيد: سليم إن شاء الله من الرزية ۞ ولما أوقف العربة قال للرجل: انزل سليمًا، فنزل الرجل، ولم نجد عليه ولو خدشًا صغيرًا، فيا للطفان ۞ بل كان في غاية السلامة لم تصبه أي بلية ۞ فسبحان العزيز الكافي الذي شملت رحمته الكيان ۞ وبهذا القدر نكتفي من عرض كراماته وآياته البهية ۞

لأنها لا تحصى فلا تنكروا لله قدرة، فإنه القوي القادر الباهر السلطان ۞ ألهمنا الله وإياكم التَّصديق بكرامات أوليائه، وبهبات أصفيائه العندية ۞ ونفعنا ببركات هذا السيد العظيم الشان ۞

رِضَاءُ رَبِّي عَنِ الأُسْتَاذِ سَيِّدِنَا
عُثْمَان ذِي الْفَيْضِ وَالْإِمْدَادِ هَتَّان

الفصل الخامس
في ذكرى وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هذا ولما أراد الله له التمتع في حضائر قدسه ومعاهد أنسه مع أهل الخصوصية ۞ سبَّب له السفر إلى سنكات، وكان ذلك في يوم الأحد التاسع من أبريل سنة ١٩٩٥م، الموافق للتاسع من ذي القعدة سنة ١٤١٥ من هجرة سيد الأكوان ۞ فلما عزم على السفر أحضر له خليفته خليل اثنين من السائقين ليختار منهما من يرافقه في رحلته إلى سنكات المحمية ۞ غير أن السيد لم يختر واحدًا منهما، لحكمة يعلمها الديَّان ۞ وأمتنع أن يرافقه سوى الخليفة آدم، الذي روينا عنه الكرامة المحكية ۞ قال الخليفة آدم: تحركنا من المنزل يوم الأحد الساعة الثامنة صباحًا، فوصلنا درديب الساعة الثانية عشر ظهرًا، متوجهين إلى سنكات ذات الأسرار والأنوار البهية ۞ وبدأ السيد يردد: أين السيد عبد الله؟، أين السيد محمد سر الختم؟، أين السيد

محمد عثمان؟ ۞ أين هم اليوم مني؟!، ثم أتجه إليَّ، وقال: إني اليوم مجاور للشريفة مريم الميرغنية ۞ وعندي معها كلام كثير، وبعض أسئلة، وهي في رياض الجنان ۞ قال: ثم وصلنا إلى هيا، ثم تحركنا منها، وكان السيد يقود السيارة بأقصى سرعتها المكنية ۞ فلما بلغنا صمد انفجر إطار السيارة الخلفي، وفقدت العربة توازنها، واضطرب منها الميزان ۞ وكان في مواجهتنا شاحنة أنزلتنا من الشارع، فلم نشعر إلا وقد قفزت عربتنا على حجر، وانقلبت على وجهها بانعكاسية ۞ ثم انقلب وقد تهشم زجاجها، وكنا بداخلها لم نصب بسوء بلطف من الرحمن ۞ وقال لي السيد: إني اليوم راحل، وقد تمت أيامي العددية ۞ فلم تلبث السيارة أن انقلبت ثانية، ورمتني خارجها في لحظة من الزمان ۞ وفي الانقلابة الثالثة وقع السيد على ظهره، فقمت اتفقده فوجدته فارق الحياة الدنيوية ۞ ولم تظهر على السيد آثار في جسده، ولا أدنى أذى، كأنه ما أصابه شيء من الرزية ۞ ولا أنا، بيد أنني لما رأيته أُغمي عليَّ، وحُملت إلى المستشفى بُعَيْد زمان ۞ وقد قُبِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضريح الشريفة مريم، التي حصلت منها في وقت تكفينه وغسله كرامة مشهورة مرموزية ۞ أنزل اللَّه على ضريحهما سحائب الرحمة والرضوان ۞

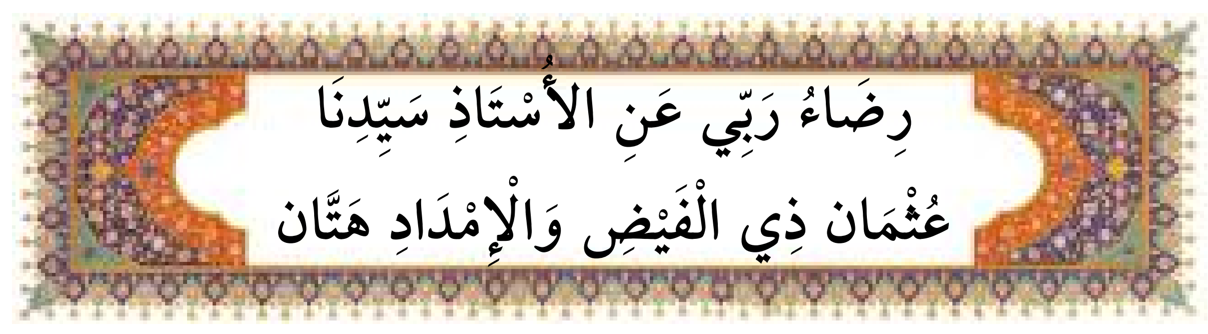
ولم يزل ألم فقده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عظيمًا لعظم المصابية ❁ أجارنا اللَّه في فقده، وعزانا بالصبر والسلوان ❁ وأعظم لنا الأجر، وبارك في الذرية ❁ بالصبر فهذه سنة اللَّه في خلقه كل يوم هو في شان ❁ ورثى مولانا السيد كثيرًا من المحبين بالفصحى والدارجية ❁ فمن رثاه الشاعر هاشم كركر من كسلا، بهذه الأبيات رثاء المحزن الولهان ❁

قال:

يا ويح قلبي من شقاء حياتي بالفقد تلو الفقد من ساداتي
نار الأسى والحزن والعبرات والدمع فاض فأعجز الكلمات
والنَّاس من هولٍ تبدد عزمها بالبؤس والآلام والحسرات
واهتزت الأعماق من أحزانها وتتابع الترديد بالأنَّات
فالفقد فقد لا يقاس بغيره من وقعه كادت تطيش حصاتي
يا سيد السادات يا ابن المصطفى يا خيرة الأخيار في القربات
للَّه ما أولاك من إفضاله بخصائص وضاءة اللَّمحات
بجوار جدته الشريفة قد ثرى في روضة ميمونة البركات
فإلى المراغنة الكرام نداؤنا وثناؤنا بصوالح الدعوات
وإلى بنيه نخصهم بدعائنا ورجائنا للَّه في الصَّلوات

وكذلك من الذين رثوه الخليفة محمد طه إمام مسجد السكة حديد، بهذه المرثية ❁ التي نختار منها أبياتًا للاختصار الذي توخيناه في هذه المآثر الحسان ❁ فيقول الخليفة محمد طه:

جرت مقادير من رب لها فطرَ بالكاف والنون لا رد ولا صدرا
مشيئة اللَّه تقضي كل كائنة على عزيز مليك كان مشتهرا
للَّه شأن كبير في خليقته نادى لعثمان حينما لباه فاحتضرا
جلَّ المنادي ينادي أهل طاعته نعم المُلبي يلبي من قد اقتدرا
قد قام من بيته يعلو مطيته مستعجلاً ليوافي وعد ما قدرا
اللَّه أكبر يا للَّه من عجب ثم اللقاء بوجهٍ ناظرٍ نضرا
والمطمئنة اتجهت تلقاء بارئها مرضية ورضاء اللَّه قد غمرا
صار الضريح ضريحين بحضرته عليهما نفحة الفيض والإحسان تنهمرا
عثمان يا أيها السامي بلا مثل يا صنو بكري سليل السادة الأمرا
أختارك اللَّه كي تلقاه في سرر موضونة بجوار الجد والزهرا
يا رب صل عزانا لأهل البيت قاطبة وخُصَّ من هم بجوار الحجر والحجرا
يا رب أيد واحفظ نسله أبدًا بما حفظت به قدمًا الآيات والسورا
وصَلِّ ربي على المختار من مضر والآل والصحب من كانوا له وزرا



الخاتمة

في لوح الدعاء

ومناقب السيد العظيمة لا تحصى ومآثره لا تستقصى، ففيما ذكرنا الكفاية وتمام الأُمنية ❁ لمن أراد البركة والتعريف بمقامات الأمثال أهل الشان ❁ ولنرفع أكف المسكنة والضراعة لربنا في إصلاح الطوية ❁ مستمطرين فوائد وعوائد اسمه الرحيم الرحمن قائلين: اللَّهُمَّ لك الحمد حمدًا لذاتك بقدر عظمتك الذاتيَّة ❁ لا نحصي ثناءًا عليك أنت، كما أثنيت على نفسك يا حنَّان ❁ ونصلي ونسلم على فاتحة وجودك، ومرآة شهودك، صاحب اللواء المعقود، والشفاعة والسجود، والرُّتبة العلية ❁ وعلى آله وأصحابه وجميع من تبع طريقتهم بإحسان ❁ اللَّهُمَّ ونسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استاثرت به في علم الغيب عندك، وباسمك الذي ما سألك به أحد إلا وأجزلت له العطية ❁ وبالشفيع المشفع، الأول والآخر، الذي ما نال مقامه منك ملك ولا إنس ولا جان ❁ وبآله الطهر أصحاب المنازل السامقة السنية ❁ وصحابته أهل دولة الإيمان ❁ أن توفقنا في الأعمال لإخلاص النية

۞ يا من إذا قلت للشيء كن فيكون بلا توان ۞ وأن تخلصنا من أسر النُّفوس والأدواء القلبية ۞ وأن تحققنا بلطائف حقائق الإحسان ۞ وأن لا تجعل للشيطان علينا سبيلاً أبدًا بألطافك الخفية ۞ فإنك معروف باللُّطف والستر والرحمة يا معطاء يا محسان ۞ وأن تقدس روح هذا السيد، وتجعلها في أرفع مقامات الخصوصية ۞ في جوار نبيك المصطفى في أعلى غرفات الجنان ۞ وأن تحفظ السادة المراغنة أهل بيت نبيك من كل مدلهمة وبلية ۞ وأن ترد عنهم كيد أهل الإحن والأضغان ۞ وأن ترعى بعين عنايتك المنتمين إلى الطريقة الختمية ۞ وتجعلهم إخوة متحابين فيك يا حنَّان يا منَّان ۞ وأن تغفر لجمعنا هذا، وتبلغ كُلًّا منَّا ما يريد من القصدية ۞ وأن تتفضل على من أجرى الخير في هذه الليلة، ومن شارك فيها بالعافية والرضوان ۞ بفضل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

سُبْحَانَكَ اَللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.